Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (4), Issue (2) August (2024)
ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

النقد النّسويّ عند عبد الله إبراهيم (دراسة في المرجعيات العربية).

إيمان ثابت حمد موسى
إشراف: نوفل حمد خضر
جامعة كركوك/ كلية التربية للعلوم الإنسانية.

استهلّ النّاقد عبد الله ابراهيم المرجعيّات العربية في سرد فيما يخص النّسويات، باستدعاءِ:

١-**النّظرة العربيّة الجاهليّة للمرأة**، وكان ذلك في سياق حديثه عن نظرة اليونان والرّومان لها، وأنّ الإسلام قد حقّق لها حقوقًا أخرى وحاول النّاقد أن يتحدّث في **المسائل الخلافيّة**، منها:**مسألة خلق حوّاء وتبعيّتها للرّجل**، وأنّ هذه الفكرة يهوديّة الأصل جاءت مع توسّع رقعة البلاد ودخول اليهود والمسيحيّين لأراضي المسلمين، وتعايشهم معهم، ومع أنّه لا يُشيرُ إلى مصدرِ هذه المعلومة ولا يُسهبُ في الحديث عنها[١]، إلّا أنّها خاطئة، ولا يُمكن أن ننكرُ أنّ هذا الأمر مُثبتٌ لدى كُتبِ العلماء من أهل السّنّة والجماعة، وأوّل هذه الأدلّة قوله تعالى: **﴿يا أيُّها النّاس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً﴾**[النّساء: ١]، والحديث الذي جاء في صحيح البخاري الذي رواه أبو هريرة عن النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**»[٢]، والإشكال هنا أنّ هذا يتعارض مع الأحاديث الشّهيرة التي وردت عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وردّدتها من بعده النّسويّات، والحقّ أنّ هذا لا يتعارضُ حسب الفكرة الدّينيّة، بل إنّ هذا يُؤخذ من مناحي الإعجاز وتوضيح مدى عظمةِ الخالق جلّ وعلا في خلق المخلوقات، ففي سورة المرسلات يقول الله تعالى: **﴿ألم نخلقكم من ماءٍ مهين﴾**[المرسلات: ٢٠]، ففي الآية شملٌ للرّجال والنّساء والجنس البشريّ عامّةً، وليست الغاية تحقير الجنس البشريّ، فقد قال الله تعالى في آيةٍ أخرى: **﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾**[الإسراء]، وقال أيضًا: **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾**[التين: ٤]، فهذه الآيات تدلّ على التّأويل القائل على إظهار قدرة المولى عزّ وجل في الخلق.وفي **مسألة الحجاب** يعرض لها بأنّها قد كانت من العادات أيّام الفرس والمسيحيين وكذلك العرب وأنّ آية الحجاب كانت فقط إلزامًا لزوجات النّبيّ[٣]، ولكن الآية تستهلّ البدء بالتّشريع لكل المؤمنات في قوله تعالى: **﴿يا أيّها النّبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يُؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا﴾**[الأحزاب: ٤٩]، وأيضًا قوله تعالى: **﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ ولا يُبدين زينتهنّ إلّا ما ظهر منها وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ﴾**[النّور: ٣٠]، ففي الآيتين كان هناك ذكر للنّساء جميعهنّ، وليس فقط لزوجات النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، وهو هنا لا يُسهب في الشّرح وعرض الفكرة.فالنّاقد ينحازُ إلى جانب النّسويّات في هاتين القضيّتين، ونحن لا نأخذ عليه موقفه المؤيّد للنّسويّات، بل نأخذ عليه أنّه لم يُسهب في عرض القضيّة ومرّ عليها مرورًا سريعًا، لم يُوضّح وجهة نظره فيها بطريقة واضحة.ولكنّه في مقابل ذلك وضّح أنّ هناك هجومًا شديدًا من قبل النّسويّة ودعاتها على المجتمع العربيّ لسلخهِ عن هويته، وتفكيك وحدة العرب والمسلمين، وذلك بإشاعة ترك الحجاب والهجوم عليه، وعلينا أن نُقاوم هذه الأفكار وأن نحاربها، وواضحٌ من خلال سياق حديثه أنّه يعد الحجاب عادةً وتقليدًا موروثًا يجب الحفاظ عليه، ولا يناقش الأمر من منظورٍ دينيّ أبدًا.

٢- **إفلين شاكر**:كان معرض الحديث في إفلين شاكر عن الرّدّ النّسويّ من قبل العالم الثّالث، وقد ذكر منها إفلين ونظرة النّاس لها في أمريكاومن المهمّ لنا قبل أن نشرع في الحديث عن ذلك أن نفهم طبيعة المجتمع الأمريكيّ الذي كان ولا يزال إلى يومنا يحاول استيعاب جميع الثّقافات ويصهرها في بوتقةٍ واحدةٍ، يرعاها التّطلّع الأمريكيّ الرّأسماليّ الذي يُوفّر الحياة الكريمة عن طريق الأسواق الحرّة المفتوحة التي تُشجّع على الازدهار والاستقرار، وتؤدّي إلى حالةٍ من الرّخاء والغنى، ولكنّه مع انفتاحهِ على جميع الثّقافات وصهره لجميع الحواجز العرقيّة والدّينيّة أمام الهدف الوحيد ألا وهو المال وتأمينه، إلّا أنّه لم يستطع بعد هضم الثّقافة العربيّة ومعها الإسلاميّة، وذلك بسبب الإعلام الذي وجّهته السّلطات لأجل تبرير حربها على أفغانستان ثمّ العراق، وعقوباتها المتواصلة على إيران، والسّعي الدّائم لشيطنة الفكر الإسلاميّ، وصورة العربيّ، حتى غدا الأمر ظاهرةً عُرفت بالإسلاموفوبيا.

والغرضُ من هذه المقدّمة الموجزة فهم موقف إفلين شاكر وما عاشته في أمريكا، فقد سيطرت مجموعةٌ من الأفكار النّمطيّة عنها، منها:

١.ارتباط أفكار **حريم السّلطان، وشيوخ النّفط، والإرهابيين** حولها، مع عدم معرفتها بها من الأساس؛ لأنّها وُلدت وعاشت في أمريكا.

٢.عانت من **السّرديّة النّسويّة الغربيّة** التي وسمت الرّجال بالهمجيّة والنّساء بالسّلبيّة والعاطفيّة والتّغيّب الأخلاقيّ والسّياسيّ.

٣.

٤.وكشفت عن **معاناة الفلسطينيّات** في أمريكا، اللّواتي كُنّ يُجابهن الاحتلال الصّهيونيّ، وكذلك الأفكار الرّجعيّة العربيّة إضافةً إلى كلّ ذلك النّسويّات الغربيّات ورؤيتهنّ الدّونيّة العنصريّة لهنّ.

٥.وقد انسحبت هذه النّظرة إلى **جميع النّسويات العربيّات** المهاجرات ممّن عِشن وتربّين على القيم الغربيّة.[٤]ونحن نجدُ هذا الأمر في غاية الأهمّيّة؛ لكون ذلك صوتًا نسائيًّا عربيًّا يردُّ على العربيّات اللّواتي يتعلّقن بالغربيّات ومُثلهنّ وأخلاقهنّ ويسعين لتمثّل ذلك في حياتهنّ، ويتّخذن من الرّوايات والإعلام منابر لترويج أفكارهنّ.

٣– **فاطمة المرنيسيّ:** اهتمّ النّاقد بسردِ ما رأته النّاقدة فيما يتعلّق بالعلاقة المعقّدة بين الرّجال والنّساء على امتداد التّاريخ الإسلاميّ، وقد تجلّى مشروعها عبر ثلاث نقاطٍ مهمّةٍ:الأولى في كتابها: **(الخوف من الحداثة: الإسلام والدّيمقراطيّة)**، أشارت من خلاله إلى الدّور السّلبيّ الذي تعيشه المرأة في العالم العربيّ، القائم في تقليديّته على تهميش المرأة، وأنّ عليه أن يغير في شروط التّعامل بين الرّجل والمرأة من علاقة التّبعيّة إلى علاقة المشاركة، وأنّ على الإسلام أن يُفسح قليلًا للدّيمقراطيّة ومبادئها لتكون مبادئ الإسلام فيها لبعض الاتّجاهات والحرّيّات بدلًا من المسلّمات والمُطلقات، وأخيرًا جعلت الدّين والأفكار اللاهوتيّة تدعو إلى الذّكورة والتّهميش للأنثى، وعليه إعادة النّظر فيها أو إلغاؤها.الثّانية ظهرت في كتابها: **(الحريم السّياسيّ: النّبيّ والنّساء)**، الذي سلطت فيه الضّوء على جانبٍ مهمٍ من الحياة النّسائيّة العربيّة، وهي حياة المرأة في كنف النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، ومعاملته الرّاقيّة مع زوجاته، وضرورة إحياء هذا التّراث الدينيّ الذي أُهمل بشكلٍ متعمدٍ فيما بعد.الثّالثة كانت في كتابها: **(سلطانيّات منسيّات)**، الذي عرضت فيه أدوار المرأة في التاريخ العربيّ، وقدّمت في كتابها: **(هل أنتم محصّنون ضد الحريم؟)** صورًا للنساء من مجمل الثّقافات عمومًا ودعت فيه إلى دمج حياة الرّجل مع المرأة.[٥]إنّ خير مثالٍ تُقدّمه فاطمة المرنيسي هو دعوتها إلى إحياءِ سنن النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام في معاملته لزوجاته، وهذا لا يُحملُ من وجهةِ نظرٍ دينيّةٍ فقط، وإنّما من منظورٍ تراثيّ أيضًا يقوم على بناء التّراث وإحيائه والسّير في نهجه بما يتلاءم مع متطلّبات العصر يليه في ذلك دعوتها إلى السّعي لتقبّل بعض مبادئ الغرب الديمقراطيّة، ونُضيفُ إليها أن نقبل ما يستقيم مع رؤيتنا وهويّتنا وليس أن نقبل بالثّقافةِ كلّها، فهذا خطأ كبير، وفي الوقت ذاته لا يُمكننا إنكار أنّ ما أتت به الحداثة الغربيّة كان له بعض الآثار الإيجابيّة ويُمكن تطبيقه، فمثلًا عمالة المرأة بما يتناسب مع الشّرع وضوابطه والأعراف والتّقاليد الاجتماعيّة قد أغنى المجتمع وخلق فرص عمل، ودفع بالتّنمية الاجتماعيّة للأمام، والفكرة في أساسها منشؤها غربيّ.

٤– **عبد الرّحمن منيف، في رواية (سيرة مدينة):**ذكره النّاقد في مجال التّنظير للفكر النّسويّ في الفصل الأوّل من الكتاب، وقد حملت روايته بعض النّظريّات والرّؤى النّسويّة من منظور الذّكر، ففي روايته هذه يُحاول أن يعرض جانبًا من التّهميش الذي تتعرّضُ له المرأة في المجتمع العربيّ، وذلك عن طريق آليّتين يُمكن أن نعد الأولى تقنيّة استغل الكاتب الرّمز فيها لإيصال أفكاره، وذلك بتنكير أسماء النّساء كلّهنّ وعدم تعريفهنّ وعند مناداتهنّ يعود إلى الكنيات وينسبهنّ لأولادهنّ الذّكور، وهذا التّرميز يدلّ على استلاب الهويّة والانتقاص للجانب الأنثويّ،[٦] والآليّة الثّانية كانت على شكلٍ سرديّ يعقدُ فيها المقارنة بين الشّخصيّات الذّكوريّة والأنوثيّة في المدينة، وهم يمتهنون المهن ذاتها.فمثلًا في نطاق الحارات الصّغيرة نجدُ أمّ عيسى مقابل صالح البيطار، ومعه الشّيخ حافظ النّوباتي، وهما يكتبان الرّقي والطّلاسم التي لا تُفيدُ في شيء، مقابل أمّ عيسى التي كانت وصفاتها تفيد في شفاء الأمراض، من دون أن تتقاضى على ذلك أجرًا، ولكنّ النّظرة كانت مبجّلةً للذّكرين ومحتقرةً للأنثى.[٧]ومثالٌ آخر على ذلك نجدُ في المشافي أسماء الأطبّاء الذّكور مع تغييب لأسماء الإناث، ومع أنّنا ندخل إليهم من شخصيّة (السّيدة العرجاء)، وهي طبيبة تعمل في إحدى المشافي إلا أنّنا لا نعرف عنها إلّا اسمها ولا يُعرّفنا الكاتب وظيفتها الأساسيّة في المشفى إضافةً إلى شائعاتٍ تحومُ حولها وعن عملها المشبوه.[٨]يجدُ النّاقد في هذه الآليّات وطريقة السّرد هذه مدى تهميش الإناث في المجتمع العربيّ لصالح الذّكور، ونجدُ أنّ الرّوائي عبد الرّحمن منيف قد أجاد وضع صورةٍ حسنةٍ لحال الأنثى والذّكر في المجتمع العربيّ، وقد اتّسمت بالحياد فلم يُبرز جانب الأنثى المتمرّدة التي اهتمّت بأجندات الغرب وتأثّرت بهنّ وثارت على الذّكر، وفي الوقت ذاته لم يمنح الرّاوي الأفضليّة للذّكر إلّا من باب النّقد ففي الرّواية تكثرُ الأمثلة من نماذج صالح البيطار والشّيخ حافظ.

٥- **أمين معلوف، وروايته (القرن الأوّل بعد بياترس)**:تظهر الرّواية في قالب الخيال العلميّ، لتدعو إلى المساواة بين الجنسين كقضيةٍ أساسيّةٍ لها، وتحكي عن إنتاج عقار يمنع إنجاب النّساء ويُساعدُ على إنجاب الذّكور، وقد راجت هذه البضاعة التي صدّرتها الدّول الغربيّة أو العالم الشّماليّ في دول العالم الثّالث، التي يرمزُ لها بالعالم الجنوبيّ، وبسبب ذلك انحسر عدد الإناث بشكلٍ كبيرٍ في هذه الدّول، وبذلك انهار الجنوب وبقي الشّمال محافظًا على مركزه في العالم بسبب وجود النّساء فيه.اكتفى عبد الله إبراهيم بنقد الرّواية على أنّها تدعو للمساواة بين الجنسين ونقد تفضيل الإناث على الذّكور في دول العالم الثّالث.[٩]ومع أنّ أمين معلوف كان يدعو إلى المساواة بين الجنسين أسوةً بالغرب وأنّ النّظرة الدّونيّة للمرأة قد تؤدّي إلى نتائج كارثيّة فدورها مهمّ في الحياة إلّا أنّه لا ينبغي أن نفهم إلى أنّه يدعو إلى النّموذج الغربيّ، فالغرب ومن أنتج هذه الحبوب والعقاقير هدفه في ذلك ماليٌّ بحت، وقد ظهر لنا في الرّواية محاولة كثير من العصابات خطف النّساء الأوروبيّات وبيعهنّ في دول الجنوب لأجل المال أيضًاوينبغي علينا أن نشيرَ إلى أنّ الرّواية كُتبت سنة ١٩٩2، وهي تستشرفُ المستقبل، ولكن المستقبل لم يُمهل الرّواية ولا كاتبها في دعواه حتى أثبت أنّ المواليد في العالم العربيّ والثّالث عمومًا قد فاقت المواليد في العالم الغربيّ الذي عانى من انهيار في المنظومة الاجتماعيّة لأسبابٍ عديدة يتعذّر ذكرها هنا، وهذا بالطّبع ليس نقدًا للرّواية فهي تعطي معانٍ رمزيّة تهدفُ لإعادة المرأة إلى مكانتها الطّبيعيّة وإعطائها حقوقها.

٦- **رواية كم بدت السّماء قريبة!! للعراقيّة بتول الخضيري ١٩٩٩**:تعدُّ هذه الرّواية من الرّوايات المُعقّدة في موضوعها وسردها وحتى في انتمائها للأدب النّسويّ العربيّ؛ وذلك لأنّ الموضوعات قد حُشدت فيها حشدًا كبيرًا، وتناولها لجميع هذه الموضوعات معًا في روايةٍ واحدةٍ أفقدها جمالها وحيويّتها.تتناول القصّة حكايةَ عراقيّ تزوّج من إنكليزيّة ثمّ انتقل بها للعيش في الرّيف العراقيّ في منطقة الزّعفرانيّة، بعد ذلك اندلعت الحرب مع إيران ومعها أتت نتائج وتبعات الحرب على العراق وشعبها، وبعد الحرب وبعد أن أنجبت الأمّ البنت بمدّة لا بأس بها يموت الأب لتبقى الأم تعتني بها، وعندما تُصاب الأمّ بالسّرطان تنتقل للعيش إلى لندن، لتموت بمرضها وتظلّ البطلة وحيدة في إنكلترا.اهتمّ النّاقد ببعض الظّواهر الثّقافيّة في القصّة، وهي:

الاختلاف ما بين الشّرق والغرب الذي ألقى بظلاله بعمق على علاقة الأم والأب ثمّ علاقتهما مع البنت، فقد كان الوالد شرقيًّا بنزعته وبيئته من حوله، وكانت زوجته غربيّة رافضةً للقيم العربيّة الشّرقيّة، وأراد كلٌّ منهما ضمّ الفتاة لصفّه، ولثقافته، وهذا انعكس على الجوّ الذي كان مشحونًا بينهما على الدّوام.اهتمّت الرّواية **بالأمّ وعنصريّتها تجاه زوجها وأهل بلده**، وخصوصًا أهل الرّيف العراقيّ، وقد بلغ بها الأمر إلى الخيانة مع آخر إنكليزيّ في بغداد، ثمّ تعود لبلدها بعد مرضها، أمّا البنت فتخبّطت بين الاثنين، وأحبّت فتى اسمه سليم تركها هو الآخر في نهاية الحرب، ولكنّها ارتكبت الخطأ ذاته بعشقها لفرنسيٍّ مهجّنٍ من أمٍّ أفريقيّة وتحملُ منه وتُجهض حملها.يرى النّاقد أنّ هذه الرّواية لم تمتثل لقواعد الرّواية العربيّة التي وصفت العلاقة بين الشّرق والغرب فبدت الشّخصيّات وكأنّها تقيمُ انتقامًا جنسيًّا من الشّخصيّات، كما أنّها **لم تُركّز على المرأة العربيّة ومعاناتها**، وحملت الرّواية سلبيّةً قاتمةً باستسلام جميع شخصيّاتها.[١٠]ونحن نوافق النّاقد على رؤيته، ولكن ربما حملت هذه الرّواية بعض المصداقيّة بما أنّ الرّوائيّة هي من أبٍ عراقيٍّ وأم أسكتلنديّة، إلّا أنّ العلاقات بين الثّقافات لا بدّ من أن تحمل درجة لا بأس بها من التّسامح بين الثّقافتين، وألا تكون ضيّقةً هكذا، فإذا كانت الأم تحمل آراءً وتوجّهاتٍ عنصريّة فكيف لها أن تتزوج من الثّقافة التي تحتقرها، وقد كان حريًّا بالكاتبة أن تُركّز على البطلة الفتاة وسط الثّقافتين واختيارها بين البيئتين، فهكذا سيكون الأمر منطقيًّا أكثر، وسيكون الصّراع بين الثّقافتين من منظور العربيّ الذي يقف بينهما ويُحاكم ويتخيّرُ منهما.

٧- **علويّة الصّبح في روايتيها مريم الحكايا ٢٠٠٤، ودنيا ٢٠٠٦**يرى النّاقد أنّها أعطت نموذجًا جيّدًا للرّجل وتصويره من قبل الأنثى، فنجدُ في الرّواية الأولى التي نجدُ العنوان يُعطينا لمحةً عن حياةِ البطلة مريم بأنّها باتت تعرف بالحكايا، ولذلك لم تعنونها بحكايا مريم، وهي امرأة شيعيّة تعيشُ مع صديقاتها في لبنان في ظلّ الحرب الأهليّة ثمّ في معاناة الغزو الإسرائيليّ، وتبدو النّساء ضحايا حرب وضحايا ذكورة معًا، وكذلك الأمر في الرّواية الثّانية التي كانت عن مجموعةٍ من النّساء اللّواتي يتعرّضن للعنف من أزوجهنّ في زمن الحرب الأهليّة.وقد نقدها عبد الله إبراهيم بأنّها تُمثل الذّكورة من مستوى الرّجل وعنفه تجاه النّساء، وكذلك كانت الحرب تمثيلًا للذّكورة وأطماعها بأنّها كلّها كانت حروبًا خاسرة وعقيمة، وقد كانت هذه المعاناة الأولى للنّساء، أمّا المعاناة الثّانية لهنّ فتمثّلت في أزواجهنّ وتفريغهم الطّبيعيّ لغضبهنّ، ولكنّ الرّؤية السّرديّة لم تعتنِ بشخصيّاتٍ متماسكة إنّما كانت سردًا من الحوادث والتّواريخ والوقائع التي شغلت الأبطال بالحوار والثّرثرة، واستعادة تجارب جنسيّة محبطة.[١١]

٨- **رواية (أصل الهوى) للفلسطينيّة حزامة حبايب ٢٠٠٧**:تحكي الرّواية عن خمسة رجالٍ من أعمارٍ متفاوتة، وعن علاقتهم بالمرأة والعالم من حولهم، وقد جمع بينهم الألم والمعاناة من الهجرة من أرض الوطن، أولًا في النّكبة وثانيًا في النّكسة، وكذلك ما عاشه الوطن العربيّ من أزماتٍ عديدةٍ منها اجتياح العراق، وقد خلطت الكاتبة بين الأزمات الشّخصيّة والنّفسيّة لهذه الشّخصيّات، وحاولت ربطها بالأحداث والتّغيّرات الاجتماعيّة

والسّياسيّة.وقد وصف النّاقد هذه الشّخصيّات بأنّها بدت مُفرغة إلّا من رغباتها، وذلك لأنّهم خسروا وطنهم وبلدهم، وأنّهم أرادوا التّعويض عن ذلك بالجنس وتملّك المرأة.[١٢]

٩- رواية محبوبات لعالية ممدوح ٢٠٠٧ تدور الأحداث حول سهيلة التي تُسافر إلى باريس وتظلّ في المشفى رهينة المرض فتتحلّق صديقاتها من حولها ليؤنسنها في وحدتها ومرضها، وقد جمعت من حولها جمعًا من مختلف الثّقافات بحكم طبيعة الدّول الأوروبيّة عامّةً وليس فقط في باريس، وعندما يعلم ابنها بمرضها يأتي إليها من كندا، وقد كان هو السّارد في القصّة ويدعى نادر، ونتعرّف معه على الصّديقات من حول أمّه، وقد انشغلت معهنّ بكلّ ما هو مفيد فالسّويديّة كارولين علّمتها تكنولوجيا الكمبيوتر، وأسماء كانت تدعمها برفع معنوياتها والصّلاة معها، ونرجس اللّبنانيّة تشغلها بالحكايا عنها وعن زوجها العراقيّ، وقد وجدت لها المثقّفة الفرنسيّة تيسا مكانًا في المسرح، وغيرهن، تمثل كلام النّاقد عنها بالآتي: أهدت الكاتبة روايتها لهيلين سيسكو (التي مرّ ذكرها معنا في المرجعيّات التي دعت إلى الاختلاف عن لغة الرّجال مع التّفرّد بالشّخصيّة الأنثويّة)، وقد طبّقت آراءها في الاحتفاء بالأنثى، وقد مثّلت الكاتبة لذلك في شخصيّة تيسا الفرنسيّة، وكانت قناعًا لها.[١٣]قامت الرّواية على ثنائيّة التّذكر والنّسيان، اختصّ التّذكّر بالأحداث الماضية المؤلمة التي كانت في ذكرى كلّ واحدةٍ من المحبوبات، بالمقابل كان النّسيان والصّفح من النّساء عن الرّجال في الحاضر، وترافق ترابط وتآخي بين النّسوة.[١٤]ورأينا في الرّواية أنّنا نُتابع النّاقد في إعجابه غير المعلن بها، وبموقع الأنثى الذي كان يُركّز على موقع الأنثى الجديد فيها، وهذه نقطة يجب التّركيز عليها، فقد كانت الرّواية جديدة كلّ الجدّة في هذا التّناول المختلف، وكذلك في نجاحها في عرضها للقضايا التي تهتمّ بها:فقضيّة الشّرق والغرب جاءت منطقيّة وواقعيّة في مقابل العلاقة المرضيّة التي أتت بها بتول خضيري، فالنّسوة اللّواتي اجتمعن حول سهيلة كُنّ من جنسياتٍ مختلفة شرقيّة وغربيّة ذابت الحدود بين الثّقافات عندهنّ وغدين كيانًا واحدًا، وكان لمّ الشّمل بينهنّ فرصةً وإن كانت في الرّواية للتّعايش السّلميّ بين الثّقافات.وفي العلاقة بين الرّجل والأنثى رأينا المرأة متصالحة ومسامحة، ولكنها ليست مستغنية؛ لأنّ الرّاوي كان ابن البطلة واحتاجته إلى جوارها الذي كان يتعامل مع صديقاتها أيضًا، ولم تكِنَّ إحداهنّ إليه أيَّةَ ضغينة أو كره.وعرضت قضية الأنثى في علاقتها برفيقتها الأنثى في أبهى صورة، في جوّ مليءٍ بالصّداقة والمحبّة، بعيدًا عن الحاجة والرّغبة الجنسيّة الشّديدة المندفعة التي وُجدت عند بعض الرّوائيّات الغربيّات وتابعتهنّ فيها بعض العربيّات.وعلى غرار كل الرّوايات النّسويّة العربيّة كان الجو يبعث على التّفاؤل في ظلّ مصاعب الحياة وأزماتها، وحمل أملًا في العلاقات بين الشّرق والغرب وفرصةً في ازدهارها وتعايشها معًا، في مقابل الكثير من الرّوايات التي عرضت لهذه القضايا وفشلت فيها.

١٠- رواية المتمرّدة لمليكة مقدّم:اتّخذت في سردها طريقة السّيرة الذّاتيّة وتعرّضت لموضوعاتٍ مهمّة خاصّة بالمرأة والجزائر وفرنسا، وعليه نجدُ أمامنا قضيّة التّمازج بين الشّرق والغرب، واختيار الكاتبة بينهما، وقامت هذه الثّنائيّة على الزّمن بين الماضي والحاضر، تمثّل الماضي في الجزائر ونظامه الدّينيّ الحاكم الذي ضيّق على حياة البطلة إضافةً للنّظام الأبويّ في العائلة، وتبعته بعد ذلك اضطرابات عسكريّة عصفت بالبلاد، ولذلك اختارت أن تُهاجر إلى فرنسا، ولكنّ فرنسا لم تكن بأفضل حالًا وإن كانت كذلك في البداية إذ سرعان ما عانت من مسألة الهويّة الأنثويّة التي تسعى لتأكيدها في فرنسا بأن تصبح كاتبة فسعت إليها بعد أن انفصالها عن عشيقها الفرنسيّ.تشكل الوحدة قرينة وسمة أساسيّة لدى البطلة، وذلك أنّها تحيّزت في سيرتها الذّاتيّة إلى جعل البطلة تستمرّ في حياتها وحيدة وتواجه كلّ الصّعاب وحدها، وتسعى للتّغلب عليها دون الحاجة لأحد، حتى لو كنّ من النّساءتسعى الكاتبة كما يرى النّاقد إلى جعل فعل الكتابة مواجهًا لاستبداد الرّجل وبديلًا عنه، وانتصرت للكتابة، ورأت أنها الوحيدة التي يُمكن للمرأة أن تعبّر عن هويّتها وذاتها ونفسها منها، ويُمكن من خلالها أن تستقلّ عن الرّجل وعن مجتمعها أيضًا.وهو يرى أنّ الرّواية تتمحوّر حول النّرجسيّة الشّديدة للأنثى، تجعل البطلة نفسها معيارًا للصّواب والخطأ، فهي تخلّت عن حب حياتها لأجل أمرٍ أنانيّ ألا وهو الكتابة وتحقيق الذّات.[١٥] نجدُ الكاتبة لا تخرج عمّا أسس له من القواعد العامّة التي تحدد الرّؤية النّسويّة في روايات المرأة التي قدّمنا لها، ولكن نجدُ أنّ هذه الرّواية بالفعل تلقي الضّوء على مشكلةٍ حقيقيةٍ تُعاني منها النّساء، على الأقل نساء المغرب العربيّ كاملًا، ألا وهو الصّراع في الهويّة والثّقافة، ومع أنّ هذه المشكلة موجودة في الشّرق إلّا أنّها ليست بالثّقل ذاته في المغرب العربي؛ لأنّ الجزائر كانت من أشدّ الدّول التي تعرّضت في تاريخها للنّسف والتّزوير، ولذلك من الطّبيعيّ أن نجد البطلة التي عاشت في كلّ هذه الأجواء أن تتأثر بثقافة فرنسا، بعد أن خيّبت (الجزائر) بلادها رغباتها، مع الأوضاع المضطربة والوضع الاقتصاديّ المتردّي فيها، ولا سيّما أنّها حاضرة في لغتها العاميّة التي كانت شديدة القرب من فرنسا، وهذا يُقرّبها من اللّغة الفرنسيّة وثقاتها معها.تميل الكاتبة وتتحيّزُ للثّقافة الفرنسيّة مع أنّها تذكر على استحياءٍ حادثةَ تعرّضها للتّحرّش من المتعصّبين في فرنسا، وهذا يجب أن يُشكّل أزمةً لديها، وهذا كان واقع الحال عند الأفارقة الذين يعيشون في البلد التي احتلّت بلادهم ودمّرتها، وراحت تمارس عنصريّتها عليهم في بلادها وتعيّرهم بأصولهم وألوانهم وبلدانهم، ومع ذلك فالراوية تنحازُ لهم، وقد لا تكون تعبّر عن رأيها بل عن الفئة التي انجرّت وراء أوهام أوروباوجدت الكاتبة في

فرنسا دعاة الفكر الوجوديّ أنّ على المرءِ أن يبرهن على ذاته ووجوده، ورأت ذلك في الكتابة، وليس غريبًا أن تتمرّد على حبيبها وتنفصل عنه لأجل تحقيق حلمها، وهي تعيش أزمة الهويّة بين بلدين وثقافتين وعالمين، هاربةً من ماضيها، تريد أن تؤسس لمستقبلها، فليس هذا نرجسيّة منها بل يُلائم تطلّعاتِ مثل هذه الشّخصيّة.

١١- **الحياة على حافّة الدّنيا لرشيدة الشّارني:**يتضمّن الكتاب أربع عشرة قصة أبطالها من النّساء المضطهدات من قبل أزواجهنّ، ونجد هذا الرّجل متمثّلًا في كافة نواحي المجتمع، فقد يكون أبًا أو أخًا أو زوجًا، بل جعلت منه عابر سبيل، فكلّ واحدٍ منهم يُريدُ استعباد الأنثى والاحتفاظ بها لنفسه، وتجري أحيانًا في سياق الرّمزيّة المطلقة، كأن نجدُ الزّوج يُفضّل أغنامه على أن يأتي لزوجته الحامل قابلةً أو أن يأخذها إلى المشفى فقط؛ لأنّ ابنته ضيّعت أحد الشّياه، أو أن نجد الزّوج الشّاعر ينشغل عن زوجته بالشّعر ولا يعمل ليُعيلها ليتفرّغ لقصيدته، وعندما ينتهي يُلقيها عليها ويحرّكها عندما لا تُجيبه ليجدها قد ماتت، هذه المبالغات وغيرها كانت لهدم الرّجل وفكره.وقد وجد النّاقد أن هذا الكتاب قد بُني على إظهار مدى هامشيّة الأنثى، وأنّها تتجه إلى سياق فضح العلاقات بين الرّجل والمرأة، وعلى الرّغم من بطولة القصص النّسائيّة إلّا أنّها مهمّشة أمام الرّجل الذي أخذ الحيّز الأكبر من القصص، وتركّز السّرد عليه، ولم تركز على الجسد الأنثويّ بقدر تلاعب الرّجل بالأنثى نفسيًّا واجتماعيًّا، وأن تعداد هذه الوجوه لا يعني إلّا وجهًا واحدًا ألا وهو الأنثى في كلّ زمانٍ ومكانٍ، يجب عليها أن تكون ممتثلةً وطائعة، وعليه يربط بين موضوع القصص وعنوان الكتاب بأنّ حافّة الدّنيا هو المكان الذي يجتمع فيه كل المهمّشين.[١٦]يُمكن أن نرد عليه بأنّ قضية الجسد كانت حاضرة منها قصّة طيور داخل غرفة عن المحامية التي أرادت أن تعمل مضيفة طيران، ورأت من حولها استعراض الأجساد وجمالهنّ، فهذه رمزيّة للجسد الأنثويّ ومدى إشكاليّته لدى الأنثى التي تعامل وفقه.

١٢- **رواية غايب لبتول خضيري:**تحكي الرّواية عن عائلة عراقية عاشت تحت عبء العقوبات الاقتصادية التي فرضت على العراق، وعلى أعقاب الحرب بين إيران والعراق وتداعيات كلّ ذلك على بطلة القصّة (دلال)، التي كانت تعاني مع عائلتها ظروفًا معيشيّةً صعبةً، فقد كانت تعيش مع خالها وزوجته وتنتهي الرّواية نهاية مأساويّة بسجن خالها، ومعه زوجته وعملها بمجمعٍ للنّفايات.يُركّزُ النّاقد على العنوان في نقده للرّواية، فالغائب هنا هو الذّكر وهو لقب خالها الذي لم يقبل بأن يُكنّى بأبي دلال رغم تربيته لها؛ لأنّه يُريدُ ذكرًا ينسبه لنفسه، وهذا ما تحتّمه العادات والتّقاليد، وينسحب العنوان على مظاهر الحياة كافّة. واهتمّت الرّواية بالحديث عن الطّبقة الوسطى التي سحقتها العقوبات الاقتصادية، وأكملت الحرب ما بدأت به العقوبات فدمّرت البلاد، وأرهقت أهلها، ثمّ تفاقم الأمر مع غزو الكويت ثمّ الاحتلال الأمريكيّ.[١٧]

١٣- **رواية خارج الجسد لعفاف البطانية:**يحاول النّاقد هنا أنّ يُسقط التّشابهات في العنف الجسديّ بين ما ورد في هذه الرّواية وما ورد في رواية دوساد السّابقة، وهي تحكي عن الفتاة القرويّة منى التي نشأت في مجتمعٍ بدويّ ذكوريّ قاسٍ، ويحدثُ أن تُخالف الأعراف والتّقاليد بتعبيرها عن مشاعرها لأحد الشّبّان، وهنا يبدأ الضرب الجسديّ والتّعذيب النّفسي بالمهانة الدّائمة لها ونعتها بأنّها عاهرة، ولكي يدرأ عنها ما وصفه بالعهر يُزوّجها من رجلٍ يكبرها، فتعاني ممّا تسميّه الاغتصاب والانتهاك الدّائم لها ولجسدها، وكذلك للضّرب المستمرّ لها.وتتزوّج مرة أخرى ولكن ينتهي بأسوأ ممّا كان عليه الزّواج الأوّل، ومع استقلالها الاقتصاديّ تتحرّر من سطوة الزّوج والأب وتنتقل مشاعر الحقد إلى الأمل والتّفاؤل لتجد عن طريقهما هويّتها الأنثويّة، فتخلّصت من زوجها الثّاني سليمان، وارتبطت بحبيبها ستيوارت الذي فتح لها عالم الثّقافة الغربيّة، فتحاول القبيلة قتلها، فتغيّر اسمها وتجري عمليّة تجميلٍ لوجهها وتغيّره، وتصبح بهويّة جديدة مغايرة هي سارا الكزاندر، ثمّ تعود إلى الأردن لتوعية النّساء بما كانت تعاني منه ونشر الثّقافة الغربيّة، ولكنّها تفشل في مسعاها وتعود أدراجها إلى الغرب.تعرّض النّاقد للسّرد التي تحاول استبدال الثّقافة العربيّة بالغربيّة، ويرى أنّها كما كانت ضحيّة الثّقافة الأولى، فهي لا تزال ضحيّةً للثّقافة الثّانية، وأنّها تحوّلت من منى الشّرقيّة لسارا الغربيّة.هذا التّحوّل الكبير وغير المسوغ الذي كان في المجتمع الفقير والجاهل ذي الثّقافة المتشددة المحرّمة للاختلاط بين الجنسين بل كان يبيح القتل في حقّ من يخرج عن أوامره تُصبح ابنته ببساطة في مجتمعٍ ثانٍ هو مجتمع أسكتلندا، وهي في ثوب الغربيّة المثقفة العالمة اللادينية التي تصبح صاحبة مشاريع اقتصادية وحاملة رسالة وأنّها لم تعانِ في سعيها هذا لأيّةِ مشاكلَ اقتصاديّة أو سياسيّة أو حتى عنصريّة، وأنّ العائق الوحيد هو أنها أنثى وأنّها تغلبت على هذه العوائق جميعها، مع تعالي النّظرة للشّرقيين ورفضهم.[١٨]إنّ المقارنة بين رواية دوساد ورواية عفاف مقارنة مغلوط فيها، فمستوى العنف ليس ذاته، ونحن نستغرب كيف أنّ عفاف لم يخطر لها خواطر دوساد لتضعها من جملة ما تعانيه منى، ولكن إن تجاوزنا هذه النّقطة وسلّمنا بها، نجد أنّ جوستين ثبتت على مواقفها ومبادئها؛ لأنّها تعتقد أنها الصّواب وهي كذلك، ولم تتنكّر للجيّد من أصولها، أمّا منى فقد تنكّرت لذلك كلّه، وهذه النماذج موجودة في مجتمعنا، فلم تخطئ الكاتبة بوصف ذلك على الرّغم من الرّكاكة السّردية واللامنطقيّة في كتابة الأحداث الرّوائيّة، ولكنّ الرّواية تنطلق من منظورٍ محقٍّ ومشاع، ألا وهو أنّ واقع المرأة سيئ ويجب تحسينه، ولأجل ذلك لا بدّ من وصفه، ولكنّها أخفقت في الحل، فليس الحل في إنكار الثّقافة والأصول والتّحامل

عليها، فنحن نوافق النّاقد على ذلك، وقد دعا إليه سابقًا في إحدى مقابلاته، فهو يرى أنّ الغرب بثقافته ورخائه كان نتاج تطوّر طبيعيّ منذ القرن السّادس عشر، وهو بذلك وليد تلك المرحلة وابنها وتابع لها وليس مبتدعًا، وبالتّأكيد لا يُمكن تطبيقه على أيّ مجتمعٍ غيره، وتوريده لثقافةٍ أخرى[١٩]، ولذلك نجد منى تفشل في نقل ما تعلّمته لفتيات الأردن.

١٤– **امرأة من طابقين لهيفاء بيطار**:تتشابه روايتها مع الرّواية السّابقة في تحدّي البطلتين العادات والتّقاليد والثّورة على الدّين والزّواج من غير الملّة لدواعي الحب.ولكن الاختلاف في أن نازك البطلة هنا تعاني من النرجسيّة المفرطة فتريد إثبات ذاتها في عالم الرّجال من خلال الكتابة أيضًا، وتمضي في حلمها، ولترضي غرورها تكتب قصّة حياتها لتلتقي القصّتان في النّهاية معًا.هناك خطّان زمانيّان يسيران ليلتقيا في نهاية القصّة، وقد ركّزت الرّواية على القضايا الآتية:

١.المرأة المفعمة بالرّغبة الجنسيّة في مجتمعٍ ينظر إلى هذه الرّغبة المعلنة في كثير من الدّونيّة.

٢.هوية الزّوجة في مجتمعٍ يحول الزّواج لمؤسسة خاوية تفتقرُ للحب والرّوابط العميقة.

٣.هوية الأم التي فقدت طفلها وفقدت حنان في حياتها.

٤.هوية الكاتبة المهووسة التي تسعى للشّهرة إلى درجة التّمسّح بأذيال كاتب البلاد ليمنحها الشّهرة الأدبيّة.وجد النّاقد في اضطراب الهويّة هذا عدم نضوج الرّواية وأنّ كثرة هذه المفهومات أدت إلى تفريغ المحتوى من معناه، كذلك السّرعة في عرض هذه الهويّات والانتقال بينها، ولم تكن هناك صورة مرضية تبدو فيها المرأة أكثر جمالًا، وقد حمّلت الذّكورة أسباب التّشوّه الأنثويّ، فلأجله يجب على الأنثى أن تكون:

- ساذجة ومعطاءة ووفيّة إن أرادت الزّواج.
- لعوبًا ومغرية وأنيقة وبارعة إن أرادت العشق.
- متحرّرة وجميلة وأنيقة وشابة إن أرادت الدّخول في عالم الرّجال.
- مغريّة وراغبة وجريئة إن أرادت أن تكون كاتبة.ولكن النّاقد يرفض هذه النّمطيّة، فيرى أنّ سبب هذا التّشوه ليس فقط الرّجال بل تعاونهم النّساء في ذلك في نظرتهنّ لبعضهنّ وما يفرضهنّ على أنفسهنّ.[٢٠]تتلخصُ القصّة في نازك السّورية المسيحية التي أحبّت مسلمًا وأرادت الارتباط به في ثورةٍ على المجتمع المسيحيّ ورفضت عذريتها لتكتشف في النّهاية أنّها لا تتوافق معه، ولتعود بعد ذلك لتتزوج من طائفتها وتسافر معه إلى فرنسا لتكتشف خيانته لها وترد عليه بخيانةٍ مثلها، وبعد موت طفلها ترجع إلى سورية وتسعى لأن تكون كاتبة.وقد حاولت الكاتبة الإحاطة بأجنداتٍ عديدةٍ، ولكنّها لم تُفلح، ولعلّ أهمّها العلاقة بين الأديان والطّوائف، فعلى الرّغم من التّسامح بين الاثنين إلّا أنّ العلاقات بينهما محرّمة، فحاولت الكاتبة تمزيق هذا الحجاب بين الطّائفتين في علاقة الحب، لنجدها تتخبّطُ فيها، فلا تنتصرُ لرؤيتها كما انتصرت سابقتها التي وجدت حبّ حياتها.والقضية الأخرى التي تطرحها العلاقة مع الثّقافة الغربيّة والآخر التي اندمجت الكاتبة فيها وخانت زوجها مع فرنسيّ، ولكنها ترجع إلى سورية، فإذا لم تستطع أن تجد ذاتها في بلادها فلماذا تضعها الكاتبة في هذه العلاقة وترجعها إلى بلادها ثانيةً.والقضية الأخيرة هي تحقيق الهويّة التي كانت بالكتابة، وهذا المفهوم يرتبط بالوجوديّة، وكان أفضل لو وُضع في بيئته الفرنسية، فلا معنى لانتصار القيم الغربيّة في بلدٍ عربيّ شرقيّ.ويجب أن نضيء ملحوظةً بسيطةً هنا في هذه الرّواية ألا وهي أنّ رجوعها عن تمرّدها الدّينيّ مرجعه أنّها أخطأت في أحكامها، ولكن هذا الخطأ كان لذهابها في سعيها للتّمرّد بالجسد؛ إذ لا مبرر فكريّ أو منطقي غير الشّهوة للآخر التي حملتها على قرارها هذا، فلدينا تمرّدان؛ الأوّل: التمرّد على الطّائفة الدّينيّة، والثّاني: التّمرّد لأجل الجسد، وبينهما فرق، الآخر ينتمي للمجتمع أكثر، وهو أعمّ من الأوّل، وتمرّد الدّين يجب أن تنتصر له النّسويّة ليكون مبرّرًا في سياقه هنا.

15– **رواية (امرأة ليس إلّا) لـ(باهية الطّرابلسي)**:تتلخّصُ الرّواية في ليلى التي تنشأ في الرّباط لسلطةٍ أبويّةٍ قاهرةٍ إسلاميّةٍ متشدّدةٍ، وتتربّى في المدرسة تربية فرنسيّة، وتكون تربيتها نتاج التناقض بين الأب الذي يدمجُ في شخصيّته بين العربيّة والفرنسيّة، ففكره متحرر ولكنّ فعله متشدّد. وقد كانت البطلة تحبّه وتعشقهُ في بداية الرّواية، ولكنّ هذا الحبّ يتغيّر مع مرور الوقت، وكان ذلك بعد ولادة أخيها وتفضيل الوالد له عليها، ويحدثُ أن تُسافر العائلة إلى الدّار البيضاء، وهنا تنفتح الأم والابنة على الحياة ويتحصّلان على استقلالهما المادي، أمّا الأم ففي النّهاية تستقلّ عن الأب وعن العائلة تقريبًا وعن الأب وتخونه، ويتزوّج الأب أخرى ملتزمة بالإسلام، وتكون وفق المنظومة الذّكوريّة التي يرتضيها.ولكن الابنة تدخلُ في دوّامةٍ من الجنس المحرّم عربيّاً والمستهجنِ غربيّاً، فتواعد عمر الشّرقيّ في فرنسا الذي يواعدُ أخرى فرنسيّة، وفي المقابل تواعد فرنسيّاً آخر، ويخضع الجميع لهذه العلاقة المعقّدة، والكلّ يعرف بها ويُوافق عليها.في نهاية الرّواية تُصبح الأمور معقّدة وتخرج عن السّيطرة من ناحية السّرد والأحداث، فتتزوّج البطلة من شرقيّ آخر وتلدُ له طفلًا ذكرًا، لتعيدَ السّرديّة ذاتها التي طالت والدها، وكأن النّسق الثّقافيّ يُعيدُ إنتاج ذاته في الحياة، مع علاقةٍ أخرى بين زوجها وأمّها (هي زوجة أبيها ولكنّها ربّتها في طفولتها وهي في مقام الأم لها)، ومرجع ذلك للإباحيّة التي سوّلت لها نفسها في فرنسا بممارستها.

تناقشُ هذه الرّواية موضوعاتٍ مهمّة:

١.الأنوثة مقابل الذّكورة.

٢.التّناقض الشّديد بين الغربيّة والشّرقيّة في المغرب العربيّ.

٣.حاجة المرأة إلى إكمال ذاتها وتحقيقها.

٤.العفّة مقابل العهر الذي تمثّل في فضّها لبكارتها.تُثيرُ هذه الرّواية قضايا عدّة مهمّة في المجتمع المغربيّ التي تتكرّر أمامنا هنا بعد رواية المتمرّدة، وهذه الرواية لا تختلفُ عن موضوع المتمرّدة، فبطلة هذه الرّواية تمرّدت على العادات والتّقاليد في جزءٍ من الرّواية حتى خانت مبادئها المتحرّرة، ورجعت إلى دائرتها الثّقافيّة.أوّل هذه القضايا التي عالجتها كانت قصية التناقض بين الشّرق والغرب في المغرب العربيّ، ومعها تحمل التّناقض بين هوّيتين وليس مجرّد أفكارٍ تتبنّاها البطلة، فمسألة التّناقض عند المشرقيين كانت تأتي في سياق صراع مبادئ وأفكار بين أخذ ورد، بين قبول ورفض، أمّا في المغرب العربيّ، فإنّها تأخذ منحى الهويّة وذلك بسبب التّأثير اللّغويّ والثّقافيّ الذي كان في زمان الاستعمار الفرنسيّ، وقد كانت آثاره شديدة على إقليم المغرب العربيّ كافةً، فهل يعد الإنسان المغربيّ نفسه فرنسيّاً أم عربيّاً، ففيه ازدواجيّة لغويّة، وازدواجيّة في الهويّتين، ولكن تظل الهويّتان منفصلتين عن بعضهما بسبب الحاجز العنصريّ الذي يُقيمه الفرنسيّون بينهم، وبسبب الاستعمار الذي سبقه، وأيضًا بسبب الاختلاف بين الأمّتين في كثيرٍ من الظّواهر الاجتماعيّة، فلا يستطيع المغربيّ أن يخرج من هذه الدّائرة الازدواجيّة.وتأتي القضيّة الثّانية التي تُثيرها الكاتبة، وهي حاجة المرأة إلى هويّتها الأنثويّة ومعها الثّقافيّة، وحيرتها بين الهويّتين الفرنسيّة والعربيّة، ولأنّ الكاتبة تحمل أجندة النّسويّة، فلا بدّ من انحياز البطلة للثّقافة والحضارة الغربيّة بسبب المآسي التي تُرتكبُ في حقّها من قبل الذّكورة ومؤسّساتها، ولكن نجدُ رغم ذلك أنّ التّحول مسوغ ومنطقيّ، وقد كانت أوّل محاولات الإثبات لديها أن تهتك عذريتها بأن تُعطيها لمن تحبّه وتريده، ولكنّها تندمُ فيما بعد على ذلك؛ لأنّها تكتشفُ بأنّها تستحقُّ أكثر من ذلك، وأيضًا لملاحقة الشّعور بالعار العربيّ لها في فعلتها، فهي لا تزال متمسكةً بها رغم كلّ شيء، فهي لا تزال تعيش حياة التّخبّطِ والصّراع.من جماليّات هذه الرّواية التي تنكر سعيها لطرح الأسئلة من دون محاولة الإجابة عليها، وربّما كانت الكاتبة مدركةً أنّها من دون أن تجيب على تساؤل كبيرٍ مثل الهويّة للمواطن المغربيّ، فنجدُ أنّها حمّلت الأب جزءًا من عبء الحياة والمعاناة التي تعيشها البطلة، ولكنّها لم تجعله السّبب الأوّل والأخير، فالبطلة تتحمّل جزءًا من هذه الاختيارات غير المدروسة التي قادتها للمعاناة؛ لأنّها انجرفت وراء شهواتها ولم ترتضِ من ذلك شيئًا، بمعنى أنّها بقيت تحت عبء الحاجة النّفسيّة والجسديّة حتى نهاية القصّة.

16- رواية عيون الثّعالب لليلى الأحيدب: تأتي هذه القصة لتثير قضية الذّكورة والأنوثة والرّغبة في تملّك الذّكر والسّيطرة عليه، فبطلة القصّة مريم أحبّت عليّاً، الذي يكبرها، وكانت في علاقتها معه تعده النموذج الرّجوليّ الأسمى الذي تسعى إلى امتلاكه، وكانت تراه سيّدًا عليها وتحاول أن تُبقيه لها وملكها، فتدبّر له مكيدة تجبره من خلالها على الزّواج، وهنا تتحوّل العلاقة إلى فتور وسيطرة معلنة فتحاول أن تلين قلبه بأن تحمل منه وتأتي بالولد، ولكن يزداد الأمر سوءًا.يرى النّاقد أنّ القصّة تتجه في منحى الخطيئة والإثم الذي يستوجب إنزال العقاب على مرتكبه من دون الاهتمام بعواقب هذا الإثم ونتائجه. وكان مجتمع الرّواية مبهمًا ولا تحكمُ أفراده أية معايير، فقد كانت المتع الجسدية تتم في أماكن سرية وكأنه عالم مفتوح يوازي العالم المغلق مع الانشراح في شرح العالم الأوّل مع تفاصيله وإغفال العالم الثّاني تمامًا والكلام عليه.[٢١]ومع أنّ النّاقد يثير نقاطًا مهمّة حول الاستغراق في العالم الجنسيّ الخفيّ مقابل العالم المغلق المادي إلّا أنّه لا يُشكّل مشكلةً في السرد، فقد تشابهت الأسباب الدّاعية للدخول في العالم الجنسي المخفي من الإهمال والتّهميش والظّلم والكبت، ولا حاجة للكاتبة أن تدخل في تفاصيلها أبدًا كما أنّ التركيز على هذا العالم الخفيّ يُثير النّسق الثّقافيّ المبهم، وغير المطروق، ويكشف لنا ما فيه وما يشعر به أفراده وما يُمارسون فيه في مقابل العالم المادي الصّاخب الذي يخفي أصحابه أخطاءهم ويظهرون بمظهر آخر أمام المجتمع.ولكن المشكلة أنّ الرّواية تجعل من أنثاها رجلًا بما تعنيه الكلمة في مفهوم النّقد النّسويّ، فالبطلة تسعى لتحقيق ذاتها عن طريق مواجهة الرّجل وتملّكه والسّيطرة عليه، وتظهر كذلك في اشتهائها المستمرّ له.

١٧- **امرأتان في امرأة لنوال السّعداوي**:تعالج الكاتبة مسألة في الجسد الأنثويّ، فبهيّة انشطرت بين هويتين وجسدين، الأول مطابق لما تريده وآخر لما تريده الجماعة والمجتمع منها، وعليه ظهر لها جسدان، ملكت زمام الأوّل وفقدت الثّاني، وبذلك فقدت جزءًا من هويّتها أرادت إرجاعه، ولكن في فعلٍ مناقضٍ تمامًا لمفهومات الأنوثة والنّسويّة والمنطق. جعلت نوال السّعداوي بطلة روايتها تتخلص من هذه العقدة بأن تتمثّل بالرّجال وتقلّدهم تقليدًا أعمى في الممشى والملبس وطريقة الكلام وفي كلّ شيء.وهذا الأمر لم يرق النّاقد ولم ينزل لديه منزلًا حسنًا، ورأى أنّ السّرديّة تسعى لإشاعة أيديولوجيا ارتكزت على مقوّمين:الأوّل: الهجاء القاسي لبنية الثقافية الأبويّة السّائدة بكل ملابساتها الأخلاقية والاجتماعيّة، والسياسيّة.الثّاني: الترويج

المستمرّ للتمرّد العبثيّ والانخراط في الهموم الفرديّة فأعاد إنتاج تلك الثّقافة من خلال التّقليد والمحاكاة.وعليه صارت بهيّة كائنًا مشوّهًا مزدوج الهويّة والوجود.[٢٢]

١٨- **رواية نخب الحياة لآمال المختار** تأتي هذه الرّواية للاحتفاء بالجسد والجنس وملذّاته اللانهائيّة وأن الجسد عامّة وليس فقط الأنثويّ ينتمي للطّبيعة ولا ينتمي للمجتمع والدّين، وأنّه بعيد عنهما، وأن هويته تبقى في إطار الشّهوات واللّذة، وكان هدف البطلة إشباع رغبتها الجنسيّة بتجارب جنسيّة متنوّعة.وعليه جاءت هذه الممارسات بما يشبه الطّقوس لتأكيد أن الحياة متعة جسديّة وينبغي الاستغراق فيه.أرادت الكاتبة بحسب رأي النّاقد أن تخترق سكون الثقافة عن طريق الاحتفاء بالجسد الأنثويّ فجعلت السّرديّة من الطّبيعية والمتعة قطبًا فاعلًا، وجعلت من الرّجل والفكرة والثقافة قطبًا منفصلًا، واكتسبت هوّيتها الأنثويّة عبر جسدها الرّافض للامتثال، ويرى أنّ علاقة المرأة بجسدها، في هذا النّمط سيبقى المحدد الخارجيّ للعلاقة عامّةً، ومحددًا للأنثى، ويرى أنّ هذا سيكون سبب انفصالها عن هويّتها وجسدها؛ لأنّها كلّما انغمست في هذه الشّهوة اقتربت من اللذة البهيمية وفقدت الشّرط الاجتماعي لها ولوجودها وخسرت بذلك هوّيتها الأنثويّة في تعطيل جسدها والتّنكر لطبيعته.[٢٣]ونجده محقّاً في ذلك، فالدعوة إلى الإباحيّة لا يمكن أن يكون الجواب على الهوية الأنثويّة، ولا يمكن أن تكون هي المحدد لها.وينبغي أن نضع في الحسبان أن هذه الصّورة قبيحة ومستهجنة بالنّسبة للرّجال والنّساء على حدٍّ سواء، بمعنى أنّ الرّجل إن ظلّ على انغماسه في شهواته سيؤول أمره لأن يكون محتقرًا من المجتمع، وإن لم يكن على نفس القدر الذي تعانيه المرأة، ولكنّه سيعاني منه وينتقص من قدره كرجل في المجتمع.كما أنّ هذه الرّواية توحي بخلود الجسد الأنثويّ الذي تحدّث عنه الكاتب قبلًا، وهي صورة غير واقعيّة أبدًا، فمهما كان الجسد قويّاً ونشطًا فستتمكّن منه السّنون والأيّام وتوهن قوّته، وهذا الأمر واقع لا محالة، ولكنّ السّرديّة ستخدع القارئة الشّابّة، فتهوي في خيالاتها عن الخلود الأبديّ لشبابها.ينبغي ألا يُفهم من كلامنا أنّنا نحمل على الاحتفاء بالجسد الأنثويّ، بل على العكس، هناك الكثير من الطرق لا يُشترطُ فيها التّركيزُ على هذه الإباحية المفرطة، فالجسد هو مَعْلَمٌ مهمٌّ وركيزة أساسيّة لدى الأنثى، وكذلك لدى الذكر.اذ نجد في النهاية ان المرجعيات العربية متأثرّة بالمرجعيات الغربية وهي امتدادًا لها، لكن على نحو أخفّ وطأة، لأن المجتمع العربي مازال يضع في الحسبان أهمية العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية في المقام الأول، على عكس صنوه الغربي.

هوامش البحث

[١] يُنظر: السّرد النّسويّ، عبد الله إبراهيم، دار الفارس، عمان –الأردن، ط١(٢٠١١):٢١-٢٢.

[٢]- صحيح البخاري=الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، الحديث برقم (٣٣٣١)، ٤/١٣٣.

[٣] يُنظر: السرد النسويّ:٢١.

[٤] يُنظر: السّرد النّسويّ:٥٤-٥٦.

[٥] يُنظر: السّرد النّسويّ:٦٤-٦٦.

[٦] يُنظر: السرد النسويّ:٨٧-٨٨.

[٧] يُنظر: المصدر نفسه:٨٩.

[٨] يُنظر: المصدر السابق:٨٨.

[٩] يُنظر: السّرد النسويّ:٩٤.

[١٠] يُنظر: السّرد النّسويّ: ١١٦- ١٢٠.

[١١] يُنظر: السّرد النّسويّ:١٢١-١٢٢.

[١٢] يُنظر: المصدر نفسه:١٢٤.

[١٣] يُنظر: السّرد النسويّ:١٣٣.

[١٤] يُنظر: المصدر نفسه:١٣٥.

[١٥] يُنظر: السّرد النّسويّ:١٣٦-١٣٩.

[١٦] يُنظر: السّرد النّسويّ: ١٤٠-١٤١.

[١٧] يُنظر: المصدر نفسه:١٤٤-١٤٦.

[١٨] يُنظر: السّرد النّسويّ:١٧٤- ١٧٦.

[١٩] يُنظر: المحاورات السّرديّة، عبد الله ابراهيم: ١٣٧-١٣٨.

[٢٠] يُنظر: السّرد النّسويّ: ١٧٨-١٧٩.

[٢١] يُنظر: السّرد النّسويّ:٢١٠- ٢١١.

[٢٢] يُنظر: السّرد النّسويّ:٢٢٨.

[٢٣] يُنظر: المصدر نفسه:٢٢٩-٢٣١.